حرية الإرادة
في الفكر الإسلامي
والفلسفة الغربية الحديثة

إعداد:

د. عبدالناصر محمود عبدالسلام جمعة

مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

الملخص :

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى ، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد السراج المنير والبشير النذير اللهم صل عليه وعلى آله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن مشكلة الحرية الإنسانية كانت ولا تزال من أهم المشكلات في الفكر الإنساني ؛ نظرا لأهمية هذه القضية ،لارتباطها بالإنسان ومسؤلياته تجاه الله جلا علاه والمجتمع ، وفي نهاية هذه الدراسة عن الحرية الإنسانية في الفكر الإسلامي والغربي الحديث ،اذكر أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث والتي تتمثل فيما يلي:

إن الفكر الإسلامي سبق الفكر الغربي الحديث في بحث مشكلة الحرية تحت موضوع الجبر والاختيار، بل إن تناول الفكر الإسلامي لهذة القضية أعمق .

إن مرجع هذ العمق ، إلى ارتباط هذه القضية عند مفكري الإسلام و الفرق الإسلامية بالعقيدة وما ورد فيها من نصوص ، ومحاولة فهمها عند جل الفرق في ظل ثوابت العقيدة ومبادئ الإسلام .

إن جل الفرق الإسلامية والمفكرين المسلمين من فلاسفة وغيرهم يقولون بحرية الإنسان في تصرفاته مع اختلاف بينهم في كونها مطلقة أو واقعة تحت إرادة الله سبحانه وتعالى .

فالمعتزلة ذهبوا إلى أن العبد فاعل لأفعاله الاختيارية ، وأنها غير مخلوقة لله تعالى ، فالعبد حر في أفعاله ، وإلا لما كان هناك مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب .

والجبرية نفوا الفعل عن العبد حقيقة وأضافوه إلى الله ، فالإنسان ليس حرا في أفعاله بل هو مجبر في جميعها .

أما الأشاعرة فلم يقولوا بمذهب الجبر ، ولا الاختيار المطلق ، بل قالوا بالكسب، فالله خالق لجميع الأفعال ، إلا أن سنته بأن يخلق عقب القدرة الحادثة أو معها الفعل الحاصل إذا اراده العبد فيكون ذلك خلقا لله وكسبا للعبد ، فالإنسان له حرية في أفعاله من خلال كسبه لها .

إن بعض المفكرين الأوربيين في العصر الحديث ، يتفقون مع الفكر الإسلامي في أنه لولا الفعل الحر للإنسان لما استحق المدح والذم ، فهو أساس الأخلاق، في الفكر الإسلامي ، وكذلك عند بعض فلاسفة الفكر الأوربي الحديث .

كذلك يتفق بعض المفكرين الأوربيين في العصر الحديث مع المعتزلة في القول بالحرية المطلقة .

الربط بين الفكر الأوربي الحديث وبين العقيدة نادرا وبصورة سطحية

أن مذهب الجبر في الفعل الإنساني في الفكر الأوربي الحديث حاضرا مع القول بالحرية .

Freedom in Islamic ideology and modern western

All praises and thanks are due to Allah, the lord of all that exists. May the peace and blessing of Allah be upon Muhammad , the messenger of Allah , and his companions and all who follow them until the Day of Judgment.

The human freedom problem was and still one of the most important issues in the human ideology ; because it is related to humans and their responsibility toward the lord Allah and community . At the end of this studying about human freedom I recommend the following results :

-The Islamic ideology preceded the modern Western ideaolgy in the freedom issues , added that the Islamic thinking is deeper.

-the majority of Islamic thinkers weather philosophes or contingents believe in freedom, but they differ if it is absoluted or limited.

-Al-Moatazila said that every one has freedom too do any thing.

-Al-Gabria believe that freedom only belongs to Allah, and there is no one free but forced.

-Al-Asharia think about doing and gaining.

Some thinkers go with Al-Moatazela and absolute freedom.-

It is rarely to connect between modern European thinking and creed.

Some thinkers go with Al-Jabria but with limited freedom.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة ، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده ، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة .

الحمد لله الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والبصر والكلام والقدرة والإرادة ، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد عبده ورسوله الذي أقام به منابر الإيمان ، ودفع عناده، ورفع عماده ,وأزال به سنان البهتان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين استخلفهم على دينه وملكهم قياده ، وأوضح بهم حجج الدين وبراهينه .

وبعد ،،،

فمسألة حرية الإرادة في أفعال العباد من أهم القضايا؛ لأنها تتصل من جانب بالذات الإلهية وما لها من قدرة وإرادة وحكمة وعدل ومشيئة ووعد ووعيد...، وتتصل من جانب آخر بالإنسان وما يتعلق به من تكليف ومسئولية وثواب وعقاب .

فالله خالق كل شيء ، وبيده كل شيء ، ومنه أفعال الأنسان ، والأنسان يملك إرادة تجعله يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء من الأفعال الاختيارية ، ومن ثم يعلم أن هذه الإرادة ليست ملكاً له ، وإنما هي هبة إلهية وعطية ربانية خلقها الله له ، وهذا يبعث على هذا التساؤل ، كيف يُوفق بين خلق الله تعالى له ولإرادته وفعله؟ ، وبين تمتعه بالإرادة وملكة الاختيار ؟ وقريبا

من هذا يثير الفلاسفة المحدثون هذا التساؤل هل الإنسان مجرد آلة من نوع خاص تنفذ حتمية ليس لها أن تحيد عنها أو تخرج عليها ؟ أم أن له حريته التي يمارس أفعاله بناءً عليها ؟

أسباب اختياري للموضوع :

إن الهدف من هذه الدراسة هو التوضيح التحليلي لهذه القضية في جانب من أهم جوانبها ،إنه جانب الحرية في أفعال الإنسان ، وهي قضية من القضايا التي شغلت المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات والفلسفات قديما وحديثا ؛ حيث تفرقت آراء المفكرين بحسب ما اقتضته عقائدهم ، وما ارتضوه طريقاً لترتيب الجزاء على العمل ، وتفرقت آراء الفلاسفة بحسب مذاهبهم .

وقد دفعني إلى دراسة هذا الموضوع عدة أسباب من أهمها :

– إثبات عدم صحة رأي القائلين بأن المتكلمين والفلاسفة تناولوا موضوعات من قبيل الترف العقلي ، أو أن هذه الموضوعات كانت تفرضها عليهم ظروف عصرهم ولم يعد لها قيمة كبيرة ، فالجمع في دراسة واحدة لحرية الإرادة في الفكر الإسلامي والغربي الحديث ، يظهر أن موضوعا كحرية الإرادة الإنسانية و دراسة المتكلمين الأوائل لها من المتكلمين والفلاسفة ما زالت ولن تزال لها أهمية كبيرة ، حتى عكف الفلاسفة الغربيون على دراستها.

– إن علم الكلام والفلسفة ليس مجرد اتجاهات لفرق إسلامية أو لمفكرين مسلمين تظهر آراءهم تجاه حقيقة مسائل الدين فحسب ، وإنما لكل منهم

آراء متكاملة في موضوعات علم الكلام والأخلاق والسياسة ، فحقيقة الدين و إن كانت واحدة ، فالخلاف إنما يكون بسبب تصور كل مذهب لمسائله ، وهذا من خصوبة الفكر الإسلامي وما أدى إليه من حضارة إسلامية راقية ؛ ومن ثم فمن أسباب هذه الحضارة ، وذلك الرقي تلك الدراسات التي قام بها المتكلمون والفلاسفة وغيرهم من المفكرين المسلمين ومن هذه الدراسات حرية الإرادة التي أظهرت بوضوح أن للإنسان حرية في أفعاله؛ مما جعل المجتمع الإسلامي ينطلق إلى العمل والإنتاج ويسير بكل قوة للعمل بأوامر الله والتخلق بأخلاق (رسول الله صلى الله عليه وسلم) مما أثمر هذا الازدهار وذلك التفوق في شتى الميادين .

وهذه الدراسة تُظهر نظرة الفكر الإسلامي إلى الإنسان ، وأنها تختلف عن الفكر الغربي الحديث في النظرة إليه ، ففي الفكر الإسلامي الإنسان خليفة الله في أرضه و هو في كل حركاته و سكناته مرتبط بالله في ضوء حرية وهبها الله له ، بينما في الفكر الغربي عند بعض مفكريه ما هو إلا جزء من الطبيعة ، حتى و لو كانت له حرية فلا علاقة لها بالدين وذلك أن الفكر الإسلامي ينطلق من نظرة روحية تربط بين المادة والروح معا بينما الفكر الغربي ينطلق من نظرة مادية بحتة لا علاقة لها بالجانب الروحاني .

منهجي في البحث :

بعد تتبع مناهج البحث المصطلح عليها في مثل هذه الموضوعات ، وجدت أن أفضل المناهج التي تتفق مع الموضوع هو المنهج التحليلي ،

محاولا قدر استطاعتي ، إعطاء صورة واضحة عن حرية الإرادة في الفكر الإسلامي عند المفكرين الأوائل من المتكلمين والفلاسفة ؛ حيث إن المحدثين من المفكرين المسلمين ما هم إلا تلاميذ لهؤلاء الأوائل ، كما قمت بالكشف عن حرية الإرادة عند أبرز الفلاسفة الغربيين المحدثين، معتمدا على أمهات الكتب الكلامية والفلسفية ، مع الكتب الأخرى التي تناولت جزئيات هذا الموضوع ، محاولا أبراز عظمة الفكر الإسلامي وأهميته في هذه الموضوع.

هذا وقد اكتفيت بعرض بعض النماذج الكلامية والفلسفية في حرية الإرادة في الفكر الإسلامي والفلسفي؛ إذ إن موضوع هذا البحث لا يتسع لاستقصاء كل الآراء .

خطة البحث : -

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في: مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين ، وخاتمة .

وقد اشتملت **المقدمة** على: أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ،ومنهج البحث ، وخطته.

وقد بينت في **التمهيد** معنى الحرية وأنواعها ، والحرية المقصود دراستها في البحث .

المبحث الأول : (حرية الإرادة في الفكر الإسلامي).

والمبحث الثاني : (حرية الإرادة في الفكر الغربي الحديث).

الخاتمـــة : وبها أهم نتائج البحث .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

التمهيد

التعريف بالحرية

كانت مشكلة الحرية تبحث في اصطلاح القدماء من المتكلمين والفلاسفة تحت مصطلح الجبر والاختيار ،و قد أصبحت فيما بعد يتناولها الباحثون تحت مصطلح الحرية ، أي إن مصطلحات هذا البحث قد أصابها التطور والتغيير كما أصاب أبعاده وقضاياه ،ولقد كانت مغايرة مصطلحات الأمس لمصطلحات اليوم من الأسباب التي أدت بعض الباحثين إلى الخطأ ، فغضوا من شأن مباحث المسلمين في هذا الشأن وحاولوا تجريدهم من شرف البحث في موضوع الحرية الإنسانية ، فتغاير مضامين مصطلحات البحث لا يصح أن يكون مبررا للحكم على تغاير المضامين التي وضعت تحت هذه المصطلحات وخاصة إذا علمنا أن مصطلح الاختيار قد عنى عند أسلافنا هؤلاء ضمن ما عناه كون الباحث إذا شاء فعل وإذا شاء لم يفعل ، في مقابل مصطلح ضرورة وجبرية ، "فمعنى حرية الاختيار ،هي قدرة الإنسان على اختيار أفعاله ، وأن المدرسيين والدكارتيين يطلقون مصطلح حرية الاستواء وعدم الاكتراث على تساوى الإمكان في الفعل وعدم الفعل ،وهي استخدمات حديثة تقطع بقيام الصلة الوثيقة بين مصطلحات الاختيار والحرية وتجعل من الثاني البديل المعاصر لشبيهه القديم "[1]

([1]) المعتزلة – مشكلة الحرية الإنسانية – د. محمد عمارة – ص ٩,٨ دار الشروق – الطبعة الثانية ١٤٨-١٩٨٨م .

وعلى هذا **فالحرية** هي :" القدرة على تحقيق أو امتناع عن تحقيق فعل دون تأثر لأي ضغط خارجي" [١]

فالحرية إذن هي : القدرة على تحقيق فعل أو الامتناع عن تحقيق فعل دون الخضوع لأي ضغط خا رجي ، هي بمعنى قدرة الإنسان على اختيار أفعاله.

وعلى هذا فقد سبق المسلمون فلاسفة الغرب في البحث في هذه المشكلة كما سيأتي.

والحرية أنواع منها :

الحرية المدنية التي :" هي استمتاع الأفراد بحقوقهم المدنية في ظل القانون ، و السياسية وهي : استمتاع الأفراد بحقوقهم السياسية و اشتراكهم في إدارة شؤون بلادهم مباشرة أو بواسطة ممثليهم "[٢]

وغيرهما من الحريات التي ليست موضع الدراسة . إنما موضوع الدراسة هي الحرية التي تعني القدرة على الفعل والترك في الفكر الإسلام و الفلسفي الحديث [٣].

---

(١) المعتزلة – مشكلة الحرية الإنسانية د. محمد عمارة – ص١٠ .
(٢) المجم الفلسفي د جميل صليبا ج ١ ص٤٦٣ دار الكتاب البناني –بيروت – لبنان.
(٣) الفلسفة الأوربية الحديثة :فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي ،فيعتبر القرن السابع عشر أول قرن يدخل في العصر الحديث وذلك أن مفكريه ==

المبحث الأول
حرية الإرادة في الفكر الإسلامي

كان الرعيل الأول من المسلمين يعيشون في جو امتلأ بحرارة الإيمان وقوة اليقين الذي غرسه فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يبين لهم ما أشكل عليهم ويوضح لهم ما أبهم و غمض على أفهامهم ، ناهيك عن نور النبوة الذي يزيل كل غشاوة ويبدد كل ظلمة ، ثم ما لبث أن ثارت المحن ووقعت القلاقل ودبت الفتن ، واتسعت الدولة الإسلامية ودخل كثير من الناس في الإسلام مع اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم السابقة على دخولهم الإسلام ، فظهرت كثير من المسائل منها :

مسألة حرية الإرادة أو ما يسمى في الفكر الإسلامي بالجبر و الاختيار ومن ثم كانت مشكلة حرية الإرادة ، أو مشكلة خلق أفعال العباد ، و هي من أهم المشاكل التي تناولها المتكلمون والفلاسفة بعد مسألة وجود الله .

==كانوا يتصورون أنفسهم يفعلون شيئا جديدا في الناحية التاريخية ، ومن ثم فإنهم يستهلون عصرا جديدا من الفكر ، انظر: رواد الفلسفة الحديثة ،ريتشلرد شاخت ، ترجمة د. أحمد حمدي محمود ط .الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والفلسفة الحديثة ، عرض ونقد، د.أحمد السيد علي رمضان ص٤ ط مكتبة الإيمان ، و كتاب الفكر الأوربي الحديث الاتصال والتغير في الأفكار –القرن السابع عشر لفرانكلين –ل– باومر ترجمة د.أحمد حمدي محمود ،ص٤١,٤٢ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧.

و يمكن حصر آراء المتكلمين في هذه المسألة في ثلاثة اتجاهات رئيسية وهي :الاتجاه الأول : " القول بالجبر[١] والمقصود به الجبر المطلق ،وهذا المذهب هو مذهب الجهمية [٢] الذين يرون أن العباد مجبورون على أعمالهم ، لا قدرة لهم ولا إرادة ولا اختياراً ، والله وحده خالق أفعالهم " [٣] .

---

(١) الجبر لغة القهر والإكراه و الجبرية : هم الذين يقولون بالجبر وهو نفى الفعل حقيقة عن العبد ، و إضافته إلى الرب تعالى ، والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة هى التى لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً ، والجبرية المتوسطة، هى التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، أما من أثبت للقدرة الحادثة أثر ما فى الفعل سمى ذلك كسباً فليس بجبرى والمعتزلة: يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة فى الإبداع والإحداث استقلالاً جبرياً، والمصنفون، سموا جماعة الكلامية من الصفاتية والأشعرية حشوية تارة ، وتارة جبرية، والجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، الذين لا يصفون العبد بأى قدرة وإنما الأفعال تقع منه كما تقع من الجمادات ، انظر : الملل والنحل لإبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر الشهرستاني جـ١ ص ٩٧ ، تحقيق ، عبد الأمير على مهنا ، وعلى مرسي فاعور ، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م ، دار المعرفة بيروت – لبنان .

(٢) الجهمية القدرية : تنسب إلى جهم بن صفوان ، ١٢٨هـ – ٧٤٥ م ، حيث قالوا : إن الإنسان مسير و لا قدرة له على أن يفعل الشئ أو يتركه بإرادته ، بل هو مجبر على أحد الأمرين ، و من أقوالهم : أن العبد ليس بقادر البتة ، وأنه لا فعل لأحد فى الحقيقة إلا لله وحده ، وأنه هو الفاعل ، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز ، انظر : معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي ، ص ٢٦٣ ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦ م .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق لأبي منصور عبدالقادر بن طاهر البغدادي ، ص ، ١٨٦، تحقيق : محمد عثمان الخشب ، ط ، مكتبة بن سينا ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١، ص٨٧ ، ومقالات الإسلاميين ج١ص ٢٣٨ .

الاتجاه الثاني :" القول بأن الله لم يخلق أفعال العباد ، فالعبد يخلق فعله ليصح ثوابه وعقابه على أعماله ، وهذا هو مذهب المعتزلة "[1] .

الاتجاه الثالث :" القول بالكسب ، ومؤداه أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى من جهة ، ومن جهة أخرى تنسب هذه الأفعال إلى العباد عن طريق الكسب ، وهذا هو مذهب الأشاعرة"

وسأتناول كل مذهب بشي ء من الدراسة فيما يلي :

أولا :الجبرية :

ورد في الجبر والاختيار نصوص يبدو على ظاهرها التعارض ، فآيات يدل ظاهرها على الجبر ، وآيات يدل ظاهرها على الاختيار ، وآيات آخرى يدل ظاهرها على الجمع بينهما .

---

(١)انظر : شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبدالجبار بن أحمد ، ص٣٣٢ ، وما بعدها ، تحقيق د. عبدالكريم عثمان ، ط ، مكتبة وهبة ، والمعتزلة هم : أتباع واصل بن عطاء من تلامذة الحسن البصرى – رحمه الله – و لما أحدث مذهبا فى أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر اعتزل حلقة الحسن البصرى ، وجلس فى ناحية من المسجد فقال الناس اعتزلنا واصل فسموا معتزلة لذلك ، وقيل إنهم سموا بذلك لأنهم أعتزلوا قول الأمة فى مرتكب الكبيرة ، وهم سبع عشرة فرقة كلهم متفقون على نفى صفات الله من العلم والقدرة ونحوها ، وعلى أن القرآن محدث ومخلوق وأن الله ليس خالقاً لأفعال العباد بل هم يخلقون أفعالهم . انظر اعتقادات فرق المسلمين، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازى، صـ ٣٩ ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢ هـ ، والملل والنحل جـ ١ ص ٥٦ وما بعدها .

– فمن الآيات التى تدل على أن الإنسان مجبور فى فعله قوله تعالى: "وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ"(١)، وقوله تعالى : إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ"(٢) وقوله تعالى " مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ"(٣).

– ومن الآيات التى تدل على أن للإنسان اختيارا ، وأنه ليس مجبورا فى فعله قوله تعالى: "وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ"(٤)قوله تعالى: "أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ"(٥)، ، وقوله تعالى: "وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ"(٦)، وقوله تعالى: "لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ"(٧)، وقوله تعالى: "وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى"(٨).

– ومن الآيات التي تجمع بين الجبر والاختيار قوله تعالى " وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

---

(١) سورة الرعد من الآية ٨.
(٢) سورة القمر الآية ٤٩.
(٣) سورة الحديد الآية ٢٢.
(٤) سورة الشورى الآية ٣٠.
(٥) سورة الشورى الآية ٣٤.
(٦) سورة يونس من الآية ٢٧.
(٧) سورة البقرة من الآية ٢٨٦.
(٨) سورة فصلت من الآية ١٧.

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ "[١]

هذه الآيات المتبينات في ظاهرها من الأسباب التي جعلت بعض الفرق يقع في الاختيار المطلق وأخرى في الجبر المطلق وثالثة بالتوسط بينهما .

والجبرية سلبوا عن الإنسان أي قدرة على الفعل ، مستندين إلى بعض الآيات التي ظاهرها يوهم الجبر فاستدلوا بأدلة منها قوله تعالى :" وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى" [٢] .

ويقولون :" نفى الله تبارك وتعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم الرمي ، وأثبته لنفسه ، فدل على أنه لا صنع للعبد " [٣]

ويقال لهم:" هذا دليل عليكم وليس لكم ؛ لأن الله أثبت لرسوله صلى الله عليه وسلم رميا بقوله (إِذْ رَمَيْتَ) فعلم أن المثبت غير المنفي ،وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء ، فابتداؤه الحذف،وانتهاؤه الإصابة ، وكل منهما يسمى رميا ، فالمعنى ، وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب " .[٤]

---

(١) سورة النساء آية ٧٩,٧٨ .
(٢) سورة الأنفال :من الآية ١٧.
(٣) شرح الطحاوية : لابن أبي العز الحنفي ، ص ٣٩١ .
(٤) المصدر السابق : نفس الصفحة .

فاستدلالهم بالنصوص القرآنية على قولهم بالجبر باطل ، بل والواقع المشاهد يبرهن على فساد قولهم ، وتهاوي مذهبهم كما بين ذلك ابن حزم [1] وغيره كما يلي :

أولاً من النص:

فالنصوص القرآنية تنص على أن للإنسان القدرة على الفعل أو تركه ، و ما دام له قدرة على العمل أو الترك فهو ليس مجبراً ، فاستدلالهم بالنصوص القرآنية على قولهم بالجبر

يقول ابن حزم : " فإن الله عز وجل قال فى غير موضع من القرآن الكريم: (جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[2].

وقال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ)[3] ،فنص ذلك على أن لنا

([1])- ابن حزم هو : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى، الإمام الظاهرى ، (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٤ م) عالم الأندلس فى عصره، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ، وتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، فقيه أصولى متكلم ، من مؤلفاته : المحلى فى الفقه ، والفصل فى الملل والأهواء والنحل . انظر :وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، ج٣ ، ص٣٢٥ تحقيق : إحسان عباس ،الناشر ، دار صادر – بيروت .

[2] سورة الأحقاف آية :١٤ .

[3] سورة الكهف آية : ٣٠

عملاً وفعلاً" [١]

ثانياً : من الحس:

وذلك لأن ابن حزم يرى أن الإنسان السليم الجوارح يتمكن من الإتيان بالأفعال أو تركها ، بخلاف الإنسان الذى به علة ، ومن ثم يأخذ من الحواس دليلاً على بطلان القول بالجبر .

يقول ابن حزم : "وأما الحس فإن الحواس وبضرورة العقل وبديهيته علمنا يقيناً علماً لا يخالج فيه الشك أن بين صحيح الجوارح وبين من لا صحة لجوارحه فرقاً لائحاً، لأن صحيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختاراً لها دون مانع، وأن الذى لا صحة لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله أصلاً ، ولا بيان أبين من هذاالفرق "[٢]

ثانيا : المعتزلة .

المعتزلة يقولون : بأن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد ، وأن العبد هو خالق أفعاله الاختيارية ، ورأيهم هذا وإن كان قد فرعه المعتزلة من أصلهم في العدل إلا أنه يمكن أن نرده إلى باقي أصولهم الخمسة التي بنوا

---

[١] الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ، جـ٣ صـ٣٥ تحقيق : د . محمد إبراهيم نصر ، د. عبدالرحمن عميرة ، دار الجيل – بيروت –لبنان

(٢) الفصل لابن حزم ، ج٣ ، ص ، ٣٥ .

عليها مذهبهم ، فكما أن إرادة الله للفساد والكفر لا تتفق مع أصلهم في العدل ، وكذلك لا يستقيم الجبر مع تكليف الإنسان وحسا به ووعد الله ووعيده ، ثم لو كان القبيح مراد لله لما كان أمر ولا نهي و لاستوت منزلة الإيمان مع الكفر والفسق ، و المعروف مع المنكر .

لذلك ذهب المعتزلة إلى القول بحرية الإنسان وقدرته لأفعاله ، فهو خالق لأفعاله ومحدثا لها على الحقيقة لا على المجاز.

يقول القاضي عبد الجبار[١] : " إن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم و أنهم هم المحدثون لها " . [٢]

وقد بنى المعتزلة عدة الزامات على عدم القول بخلق الإنسان لأفعاله وهي :

١- بطلان إرسال الرسل وما يترتب على ذلك من التكليف .

يرى المعتزلة أن العبد لو لم يكن خالقا،لفعل نفسه فلا فائدة في إرسال الرسل، و لا من الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من التكاليف

---

(١)- القاضى عبدالجبار: أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد الهمذانى الأسد أبادى، والهمذانى نسبة إلى همزان مدينة بخراسان، ولد بين ٣٢٠- ٣٢٥هـ ، وتوفى سنة ٤١٥هـ ، قاض أصولي ، شيخ المعتزلة فى عصره، ، من مؤلفاته ، تنزيه القرآن عن المطاعن ، والمغنى فى أبواب التوحيد والعدل، والمحيط بالتكليف، وشرح الأصول الخمسة، انظر: الاعلام الزركلى جـ٣ صـ ٢٧٣ ، دار صادر بيروت .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٣٣٢ ، والمختصر في أصول الدين للقاضي عبدالجبار ، ص ٢٣٨ .

، لأن هذا يكون من قبيل العبث ، حيث يحتج الكفار والعصاة على حجية الرسل ، ويقولون لهم : كيف تدعوننا إلى المعروف، وتأمروننا به ،وتنهونا عن المنكر ،وتأمروننا بتركه ونحن خاضعون لما قدره الله تعالى ؟ إذ كيف تكلفوننا بأشياء نحاسب عليها وهي ليست من أفعالنا ؟ إلى غير ذلك مما بينه القاضي عبد الجبار بقوله :

" ٢- فكذلك يلزمهم - أي القائلون بأن الله تعالى هو الخالق لأفعال العباد-أن لا يثبت لرسل الله تعالى حجة على الكفرة ، لأن للكافر أن يقول إن كنت رسولا فلا أقل من أن تكون رسالتك موافقة لمراد الرسل ، فكيف تدعونا إلي الإسلام ، ومن أرسلك إلينا أراد منا الكفر وخلقه فينا، وجعلنا بحيث لا يمكننا الانفكاك عنه ؟ ويلزم انقطاع الرسل من وجه أخر، وهو أن يقال لهم:إلى ما ذا تدعونا إليه ؟فإن كنتم تدعونا إلى ما خلقه الله تعالى فينا، فإن ذلك مما لا فائدة فيه، وإن كنتم تدعونا إلى ما لم يخلقه الله تعالى فينا، فذلك مما لا نطيقه ولا نتمكن منه ، و يلزمهم التسوية بين الرسول وإبليس؛ لأن الرسول يدعوهم إلى خلاف ما أراده الله منهم، كما أن إبليس يدعوهم إلى ذلك " (١)

٣- من إلزاماتهم – والعياذ بالله - : أن يكون الله تعالى ظالما.

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار - صـ٣٣٤- ٣٣٥ ، والمختصر في أصول الدين ، للقاضي عبدالجبار ، ص ٢٣٩.

فمن الأدلة التي تمسك بها المعتزلة في إثباتهم لحرية الإرادة وأن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم ، نفي الظلم عن الله تعالى ؛ لأن أفعال العباد تشمل على هذه الأشياء و الله سبحانه و تعالى منزه عنها فدل على أن أفعال العباد من إيجادهم يصور لنا القاضي عبد الجبار ذلك قائلا:-

" إنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقا لأفعال العباد، هو أن في أفعال العباد منها ما هو ظلم وجور، فلو كان الله تعالى خالقا لها لوجب أن يكون ظالما جائرا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا " (١)

٤ - .من إلزاماتهم : أن يكون الله تعالى هو فاعل القبيح.

ويقول : " ويلزمهم قبح بعثة الأنبياء ، ويلزمهم أيضا أن يكون هو فاعل القبائح ؛ لأنه إذا كان خالقا لأفعال العباد وفيها القبائح لزم ما ذكرنا "(٢)

ويقول : " أفعال الإنسان فيها الظلم والجور ، وهذا يدل على عدم خلق الله تعالى لأفعال الإنسان ، لأن الظلم والجور لا يصح على الله تعالى " .(٣) .

والمعتزلة لم يفرقوا بين إيجاد القبائح وغيرها من الأفعال وبين فعلها ومباشرتها.

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ، صـ ٣٤٥ ، والمختصر في أصول الدين ج ١ ، ص٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، ص ـ٣٣٤

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة ص ٣٤٥ ، والمختصر في أصول الدين ج ٢ ٢٣٨ .

فلا قبيح من الله لأنه منزه عن ذلك إلا أن خلق القبيح ليس بقبيح فهو موجد القبائح لا فاعل لها [١].

٥ – بطلان المدح والذم والثواب والعقاب :

بمعنى أن الفعل الحسن والقبيح كفعل الخير وما يشمله ، و كالشر وما يندرج تحته فعل الله تعالى ،وليس فعل الإنسان ، فكيف يمدح ويذم الإنسان على شيء ليس من فعله ؟ يقول القاضي:

" كما يلزم القول على هذا المذهب أن لا يفرق بين المحسن والمسئ وأن يرتفع المدح والذم والثواب و العقاب " [٢]

أن هذه الشُبهة مبنية على أن العباد لا فعل لهم ، وهذا ما لم يقل به أهل السنة .

" كما أن الله ليس آمر ا لأحد من خلقه بخلق شيء من الأفعال ،ولا ناه عن ذلك، لأن الخلق مستحيل من العبد، وإنما أمر باكتساب ماخلقه ونهى عن ذلك " [٣] .

---

(١) انظر : شرح المقاصد ، لمسعود بن عمر بن عبدالله الشهير بسعد الدين التفتازاني ، ج٤ ص ٢٩٤ ، تحقيق : د.عبدالرحمن عميرة ،ط ،عالم الكتب ،بيروت –لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٣٣٤ ، والمختصر في أصول الدين ج١ ص ٢٣٨ .

(٣) التمهيد للباقلاني : ص ٣٠٧ .

كما أننا : " لا نقول : أن المدح والذم والثواب والعقاب يحصل بفعل الفاعل منا حتى يوجب كون ذلك خلقا بل نقول :إن ذلك يحصل بحكم الله تعالى ،ويجب ويستحق بحكمه " [١] .

" و كون الله تعالى خالقا لا يوجب أن يتصف بما خلق من ظلم وطاعة ومعصية ؛ لان هذه الصفات إنما هي لمن قامت به ، فالظلم مثلا صفة للظالم،كما أن الله خلق الضوء للمستضئ به –النهار،والظلمة للمظلم بها الليل ولم يوجب ذلك كونه ضياء ولا ظلمة"[٢]

وقد استدل المعتزلة بأدلة نقلية منها :

قول الله تعالى :" الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ " [٣]

وجه الاستدلال عند المعتزلة : " أن الله سبحانه و تعالى نفي التفاوت عن خلقه ، والتفاوت إما أن يكون من جهة الخلقة أو من جهة الحكمة ، ولا يجوز أن يكون المراد هو التفاوت من جهة الخلقة ، لأن في خِلقَةِ المخلوقات من التفاوت ما لا يخفى ، فالمراد إذن أن يكون التفاوت من جهة الحكمة ،

([١]) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر الطيب الباقلاني : ص ١٥٥ ، تحقيق : محمد زاهد أبي الحسن الكوثري ،ط المكتبة الأزهرية للتراث ،الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ –٢٠٠٠م.

([٢]) الإنصاف للباقلاني : ص ١٥٠ .

([٣]) سورة الملك الآية : ٣

وإذا ثبت هذا لم يصح في أفعال العباد أن تكون من جهة الله تعالى لاشتمالها على جهة التفاوت وغيره "[١] .

و الحقيقة أن المقصود بالتفاوت : " التفاوت من جهة الخلقة ، ولا صلة لها بأفعال العباد ، فيكون المعنى ، خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ، واحد فوق الآخرى ، مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ، يعني في السماوات لأنه قال فَارْجِعِ الْبَصَرَ بعد ذكر السماوات هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ يعني من شقوق ، والكفر لا شقوق فيه ، ثم قال ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ في السماوات يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ يعني مغلوبا ولم يذكر الله تعالى الكفر ولا أفعال العباد في هذه الآية ، فلا يكون للقدرية في ذلك حجة " [٢]

ومنها قوله تعالى :(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا...)[٣]

يقول القاضي عبدالجبار: " نفى الله أن يكون في خلقه باطل فلولا أن هذه القبائح وغيرها من التصرفات من جهتنا ومتعلقة بنا ،وإلا كان يجب أن تكون الأباطيل كلها من قبله ،تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا"[٤]

---

(١)-انظر : شرح الأصول الخمسة، ص ٣٥٥ .
(٢) اللمع في الرد على أهل البدع والزيغ ، لأبي الحسن الأشعرى ، ص ٨٣ .
(٣) سورة ص الآية : ٢٧ .
(٤) شرح الأصول ، ٣٦٢

إن المعنى المقصود من الآية خلاف ما فهموه ، والمعنى أن الله ما خلق السماوات والأرض وما بيهما عبثا، بل خلقهما بالحق للاستلال بهما عليه سبحانه.

ومنها ما أورده الإمام الرازي[1] من استدلال المعتزلة بما في القرآن من إضافة الفعل إلى العباد كقوله تعالى : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[2] ، وقوله : ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[3] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾[4][5] .

---

(١) الرازى : هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمى البكرى فخر الدين الرازى ، كان عالماً بالفلسفة وعلم الكلام وهو قرشى النسب أصله من طبرستان ومولده فى الرى وإليها نسبته ، توفى فى هراه سنة ٦٠٦هـ ، ومن كتبه مفاتيح الغيب ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين وغيرهما ، انظر : الاعلام للزركلى ج ٧ ص ٢٠٣ ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، وموسوعة الصوفية ، د عبد المنعم الحفنى ص ١٧١ ، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م دار الرشاد .

(٢) سورة المائدة الآية ٣٠ .

(٣) سورة الطور الآية ٢١ .

(٤) سورة إبراهيم الآية ٢٢ .

(٥) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء و المتكلمين ، لفخر الدين الرازي ص ١٩٦ تحقيق ، طه عبدالرؤوف سعد ، الناشر ، مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة ، المطالب العالية ، لفخر الدين الرازي ج ٩ ص٣٠١ وما بعدها ، تحقيق ، د. أحمد حجازي السقا ، الناشر دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م .

ومنها : استدلال المعتزلة بالآيات المشتملة على أمر العباد بالأفعال ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾[١]

وبالجملة فالاوامر والنواهي الواردة في كتاب الله تعالى لا حد لها ولا حصر ، ولو لم يكن العبد قادراً على الفعل والترك لم يقبل أمره ولا نهيه وكيف يجوز في العقل أن يقال افعل يا من لا يفعل [٢]

ويرد الإمام الرازي كل الاستدلالات التي استدل بها المعتزلة على أن العبد موجد فعله من القرآن الكريم جملة ، فيبين:

أولا : أنها معارضة بالآيات الدالة على أن جميع الأفعال بقضاء الله وقدره كقوله تعالى : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٤] ، وقوله سبحانه ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٥] ، وقوله : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٦] .

---

(١) المحصل ص ١٩٧ ، والآية من سورة الحج الآية ٧٧ .
(٢) انظر : المطالب العالية ، ج ٩ ص ٣٠٥ .
(٣) سورة غافر الآية : ٦٢ .
(٤) سورة البقرة الآية : ٧ .
(٥) سورة الأنعام الآية : ١٢٥ .
(٦) سورة الصافات الآية : ٩٦ .

ثانيا : وهو انا وإن نفينا كون العبد موجدا لأفعال نفسه ، لكنا نعترف بكونه فاعلا مكتسبا لها.

وثالثا : لما تعارضت الآيات الدالة على الجبر بالآيات الدالة على الاختيار ولا مرجح لأحدهما على الآخر وجب الرجوع إلى الدلائل العقلية وهي كثيرة وباهرة لا شك فيها ولا شبهة [١] .

ثالثا : الأشاعرة .

(جاء الإمام أبو الحسن الأشعري ومن تبعه من الأشاعرة وغيرهم وحاولوا التوسط بين القائلين بالاختيار المطلق وبين القائلين بالجبر المطلق فقالوا : إن الله سبحانه أجرى عادة بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً ؛ فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما ؛ فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثا ، ومكسوباً للعبد . والمراد بكسبه إياه : مقارنته لقدرته ، وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير ، أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له ، وقال بعضهم : إنا نعلم بالبرهان أنه لاخالق سوى الله تعالى ولا تأثير إلا لقدرته القديمة ، ونعلم بالضرورة أن القدرة الحادثة تتعلق ببعض الأفعال كالصعود دون البعض كالسقوط فسمي آثر تعلق القدرة الحادثة كسبا وإن لم تعرف حقيقته) [٢]

---

(١) انظر : المحصل ، ص ١٩٨ والمطالب العالية ج ٩ ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

(٢) انظر: شرح المقاصد ، ج ٤ ص ٢٢٥-٢٢٣ و شرح المواقف ، للسيد الشريف الجرجاني ج .٨ ص .١٦٤ .

فالإنسان كاسب لعمله ، والكسب هو مقارنة قدرة العبد للمقدور ، ويسبق هذه المقارنة إرادة العبد وعزمه على الفعل ، فهناك إرادة ثم حصول الفعل ، فالمكلف به هو المقدور للعبد وهو الميل والتصميم الذى يحصل بهما المقارنة ، فكل من قدرة العبد والفعل مخلوقان لله تعالى ، والميل ملك للعبد وهو أمر اعتبارى لا تتعلق به قدرة الله تعالى وهذا هو المكسوب للعبد ، وهو فى الحقيقة المكلف به.

ومهما تباينت الأراء في معنى الكسب فإنها في النهاية تثبت إرادة حرة للإنسان ، تفرق بينها وبين إرادة الله للفعل ، فأفعال العباد من الله من حيث خلقها وإيجادها ، وإرادة العبد لها من حيث الكسب ، فأرادة الله لكل ما يقع في الكون حقيقة ، وإرادة العبد لأفعاله مجازا .

رابعا : الفلاسفة المسلمون .

ذهب الفلاسفة المسلمون[1] إلى القول بحرية الإرادة ومنهم ابن رشد الذي عالج القضية من رؤيته ،حيث حاول ، الجمع بين الأراء المتباينة والمذاهب

---

[1] – ومنهم الفارابي حيث يبين ذلك فيقول: (فإن ظن ظان أنه يفعل ما يريد ويختار ما يشاء استكشف عن اختياره ، وهل هو حادث فيه بعد مالم يكن أو غير حادث ؟ فإن كان غير حادث فيه لزم أن يصحبه ذلك الاختيار منذ أول وجوده ، ويلزم أن يكون مطبوعا على ذلك الاختيار لا ينفك عنه ، ولزم القول بأن اختياره مقتضى فيه من غيره ، وإن كان حادثا – ولكل حادث سبب– ولكل حادث محدث ، فيكون اختياره عن سبب اقتضاه ، ومحدث أحدثه و إما يكون هو أو غيره ، فإن كان نفسه ، فإما أن==

المختلفة بين المتكلمين والفلاسفة فقرر :" بأن الظاهر من مقصد الشرع ليس هو تفريق هذين الإعتقادين أي الجبر والاختيار وإنما مقصده الجمع بينهما على التوسط الذي هو الحق في هذه المسألة ،وذلك يظهر أن الله تبارك وتعالى قد خلق لنا قوى نقدر بها على أن نكتسب أشياء هي أضداد ، ولكن لما كان الاكتساب لتلك الأشيا ء ليس يتم لنا إلا بمواتات الأسباب التي سحرها الله لنا من خارج وزوال العوائق عنها كانت الأفعال المنسوبة إلينا تتم بالأمرين جميعا "[1]

وإذا ما أمعنا النظر في احتدام هذا الخلاف وجدنا من أسبابه التعارض بين الأدلة ، ولعل أبرز سمات هذا التعارض نجدها في الآتي :

١- التعارض بين الأمم

يقول الرازي: -

== يكون إيجاده للاختيار بالاختيار وهذا يتسلسل إلى غير نهاية ، أو يكون الاختيار فيه لا بالاختيار فيكون محمولا على ذلك الاختيار من غيره ، وينتهي إلى الأسباب الخارجة عنه التي ليست باختياره ، فينتهي إلى الاختيار الأزلي الذي أوجب ترتيب الكل على ما هو عليه ، فإنه إن انتهى إلى اختيار حادث عاد الكلام من الرأس ، فتبين من هذا أن كل كائن من خير أو شر يستند إلى الأسباب المنبعثة عن الإرادة الأزلية) انظر: شرح فصوص الحكم للمعلم الثاني أبو نصر الفارابي . ص ٩٨،٩٩.

([1])- انظر : مناهج الأدلة في عقائد الملة لا بن رشد ص ١١٦ ومابعدها تحقيق ، د.محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤ . .

"فكذلك جميع الملل والنحل بعضهم مجبرة وبعضهم قدرية ، ولا نرى أن أمة من الأمم خالية عن هاتين الطائفتين " [١].

٢- التعارض بين الأدلة العقلية

يقول الرازي : " وأما الدلائل العقلية ، فاعتماد الجبرية على أن هذه التفاصيل غير معلومة فلا تكون مخلوقة لنا ، واعتماد القدرية على أن هذه الأفعال واقعة على وفق مقصودنا ودواعينا. "[٢]

فالجبرية يعتمدون على أن العبد غير عالم بتفاصيل أفعاله ، لذا فهو غير موجد لها .

أما المعتزلة : فيرون أن الأفعال تقع حسب القصد والدواعي ؛ لذا فهي من خلق الإنسان ، فهنا وقع التعارض بين دليل العلم ودليل القصد

٣- التعارض في الالزامات العائدة إلى الكمال والنقصان .

يقول الرازي :

" و أما الإلزامات العائدة إلى باب الكمال والنقصان ، فاعتماد الجبرية على حرف واحد هو أن القدرة على الإيجاد صفة كمال ، فلا تليق بالعبد الذي هو

---

(١)- المطالب العالية ج ٩ ص ٢٤٨ .

(٢)- المطالب العالية ، ج ٩ ص ٢٤٨ .

منبع النقصان ، واعتماد القدرية على حرف واحد هو أن أفعال العباد سفه وعبث وإيجادها نقصان وذلك لا يليق بالإله المتعالي عن النقصان "[١]

ذلك أن الجبرية يعتمدون على أن القدرة على الإيجاد صفة كمال ، فهي غير لائقة بالعبد الذي يعتريه النقص .

أما المعتزلة فيعتمدون على أن أفعال العباد منها : السفه والعبث ، وهذا لا يليق بالإله المنزه عن النقصان .

٤- التعارض في المقدمات البدهية .

يقول الرازي :

" وأما القدرية فقد عولوا في تقريرهم أن حسن المدح والذم معلوم بالبديهة ، ونعلم بالبديهة : أنه لو لم يكن العبد قادرا على الفعل لما حسن المدح والذم ، وما كان أصل للبديهي أولى أن يكون بديهي والحاصل أن عمدة الجبرية هو أن الممكن لابد له من مرجح ،وعمدة القدرية هو حسن المدح والذم وهما مقدمتان معلومتان بالبديهية فقد وقع التعارض في هاتين المقدمتين في هذا المقام "[٢]

فالجبرية يعتمدون على أن الممكن لابد له من مرجح ، وهذا المرجح من الله تعالى ، فيلزم الجبر ، أما المعتزلة فيعولون على أن حسن المدح والذم

([١])- المطالب العالية ، ج ٩ ص ٢٤٨ .
([٢])- المطالب العالية، ج ٩ ص ٢٤٨ .

معلوم بالبديهة ، فالعبد لو لم يكن قادراً على الفعل لما حسن المدح والذم ، وهذا دليل على أن العبد خالق لفعله ، وبذلك وقع التعارض بين هاتين المقدمتين .

٥-التعارض في فهم الدلائل النقلية .

يقول الرازي :

" فالقرآن مملوء مما يوهم الجبر تارة ، و مما يوهم القدر آخرى ." [١]

والحق هو ما ذهب إليه أهل السنة ومن وافقهم ، من أن الأفعال كلها بإرادة الله ويدل على صحة ما ذهبوا إليه من أدلة العقل " أن الملك إذا جرى في ملكه مالا يريده ، دل ذلك على نقصه أو ضعفه أو عجزه ، والله تعالى موصوف بصفات الكمال لا يجوز عليه في ملكه نقص ولا ضعف ولا عجز ، فكيف يكون في ملكه ما لا يريده ويريد أضعف خلقه فيكون و حاشا سبحانه أن يأمر بالفحشاء أو أن يكون في ملكه ما لا يشاء . " [٢]

فللإنسان الحرية التي بها يكون مسئولا عن أعماله في الدنيا والآخرة .

([١])- المطالب العالية ،ج ٩ ص ٢٤٨ .
([٢])-الأنصاف للباقلاني ، ص١٥٥

الحرية في الفكر الفلسفي الحديث

لما كانت مشكلة الحرية مشكلة الإنسان ، الذي كرم وميز عن سائر المخلوقات من حيوانات وجمادات ، وكان أعظم ما كرم به العقل ، الذي جعله يقرر وسط هذا الكون وما فيه أن يفعل ما يريده ، ومع ذلك فإنه يشعر بالحرية أحيانا عندما يحقق ما يريد ، ويشعر بالجبرية عندما تقف العوائق مانعة له مايريد و يظن أنه جزء من هذه الطبيعة ، تجري عليه قوانينها ، وربما ترك هذا الصراع جانبا ، ورجع إلى الكتب المقدسة موقنا بإله يحرك هذا العالم بما فيه أفعاله ، لكن سرعان ما تستمر المشكلة نفسها ، هل الإله يمنحه القوة على الفعل ، أم الأله نفسه الذي يجبره على الفعل ؟

ومن ثم تشعبت آراء الفلاسفة المحدثين ما بين قائل بالجبر وما بين قائل بالاختيار.

ومن يتوسط بين الطرفين ، وقد اخترت أبرز هؤلاء الفلاسفة كنموذج ، كاسبنوزا وهوبز في القول بالجبر ، وديفيد هيوم في التوسط بينهما ، ومن المذاهب التي قالت بالحرية كانط وهيجل وديكارت ومالبرانش .

المنكرون لحرية الإرادة من الفلاسفة الغربيين

أولا :اسبنوزا[١]

لقد أنكر اسبنوزا حرية الإرادة ، ويرى أن ما نشعر به في أنفسنا من حرية العمل والسلوك ليس سوى جهل بالأسباب التي تؤدي إليه[٢]

فليس الإنسان مختارا فيما يفعل ،إنما هو مجبر و ذلك في جميع مراحل حتى في طفولته فإن ما يقوم به إنما هو دون أرادة منه ، سواء في رضاه أو عضبه.

" فالطفل الرضيع يعتقد أنه يبحث عن الثدي بإرادته الحرة ، ويعتقد الصبي الغاضب أنه يرغب فى الانتقام بإرادته الحرة ، ويظن الجبان أنه يسعى إلى الهرب ، وعلى هذا النحو يظن المجنون والصبي ، ومن على شاكلتهم أنهم يصدرون فى أفعالهم عن ذواتهم الحرة دون جبر أو إلزام آلي ، مع أنهم فى واقع الأمر لا يملكون القدرة التى يقفون بها فى وجه النزوع الذى يدفعهم إلى الكلام "[٣].

---

(١)- باروخ سبينوزا : ولد فى امستردام ١٦٢٢، ومات فى لاهاى فى ١٦٧٧ وهو من الفلاسفة العقليين ، ومن أهم كتبه كتاب : الرسالة، كتاب الأخلاق ، اللاهوتية السياسية ، انظر: معجم الفلاسفة للطرابيشى ٣٢٩ وما بعدها .

(٢)- انظر: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، د .إراهيم مصطفى إبراهيم،ص٢٠٦.

(٣) نقلا عن : اتجاهات الفلسفة الحديثة ، د . على عبد المعطي محمد ، ص ١٨٤ .

فاسبنوزا يرى أن الإعتقاد بحرية الإرادة ما هي إلا أوهام وظنون تصحب الأنسان منذ طفولته ، وفي حوادث التي توجه في حياته وهو في حقيقة الأمر ليس له قدرة في ردود أفعاله المختلفة تجاه هذه الحوادث .

فما الذي يتحكم في أفعال الإنسان عند اسبنوزا ؟ ولماذا يرى الأنسان نفسه حرا مختارا ؟

إن اسبنوزا يرى أن الدوافع و النوازع هي التي تدفع الناس إلى الفعل دون أدنى حرية حتى في الكلام ، وهذه الجبرية التي رأها اسبنوزا في أفعال الإنسان بناها على أن الطبيعة بقوانينها تتحكم في سلوك الإنسان وتصرفاته ،وما يشعر به من حرية فهم خاطيء سببه جهل الناس بالعلل الحقيقية التي تدفعهم لهذا الفعل .

وذلك ؛ لإن الأنسان جزء من هذا العالم الذي يخضع لتلك القوانين والذي " يسير فى اتجاه مرسوم وطريق معلوم ، لا يلوى على شئ لأنه مسوق بقوانين الطبيعة ، فإذا كان العالم كله – والإنسان جزء منه – محكوما بتلك القوانين التى تسيطر على كل شئ ، فمن العبث والوهم أن نؤمن بإرادة الإنسان الحرة ، وباختياره لأفعاله " [1] .

فالأنسان عنده خاضع لقوانين الطبيعة ، وكل أعماله تسير وفق نظام الكون، فليس له مخالفته ، بفعل حر منه.

([1])انظر : تاريخ الأخلاق ، د . محمد يوسف موسى ، ص ٢٤٥ ، ط مطابع دار الكتاب العربى بمصر ، ط الثالثة ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م .

ومن ثم فاسبنوزا يؤمن " بأنه لا توجد في النفس إرادة مطلقة ، بل إن النفس مجبرة على أن تريد هذا الشئ أو ذاك " [١]

فالإعتقاد بالحرية عنده وهم وخيال وسببه عدم معرفة الإنسان بأن ما يدفعه للفعل إنما هو قوانين الطبيعة ، والغرائز التي تدفعه لحفظ بقائه فاسبينوزا يرى : " أن الإنسان مدفوع برغبة كامنة فيه لحفظ بقائه ، ولا يسعه إلا أن ينصاع لها ، فليس للإنسان إرادة حرة ؛ لأن ضرورة البقاء تحدد الغرائز ، والغرائز تحدد الرغبة ، ثم الرغبة تقيد الفكر والعمل ، فليس للعقل إرادة حرة ، أومطلقة ولكنه حينما يريد هذا الشئ أو ذاك مسير بسبب، وهذا السبب يسيره سبب آخر ، وهذا يسيره ثالث إلى ما لا نهاية ." [٢]

وهكذا تتوالى علل الظواهر حتى نصل إلى العلة النهائية وهي الله.

فهو يقول :" إن النفس لا تنطوي على أي أرادة حرة ،بل هي مجبورة على أن تريد هذا أو ذاك بقتضى علة هي أيضا مشروطة بعلة آخرى وهكذا إلى ما لا نهاية فكل ما يحدث في الوجود يرجع في نهاية الأمر إلى تلك العلة الأولى التي تحقق كل شيء بضرورة أزلية وكمال أسمى " [٣]

---

(١) مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ، سعد عبدالعزيز حباتر ، ص ٢٦ .

(٢) قصة الفلسفة الحديثة د زكي نجيب ص ١٥٩,١٥٨، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر –القاهرة ١٣٥٥هـ-١٩٣٦ م .

(٣) نقلا عن :مشكلات فلسفية ، د زكريا إبراهيم ، ص ٥٤، مكتبة مصر ودار الطباعة الحديثة .

فكل ما يقع في العالم من أحداث إن هو إلا نتيجة لإرادة الله التي لا يطرأ عليها تغيير ولا تبديل ، فالعالم مجبر مسير في طريق معلوم مرسوم ليس عن السير فيها من محيص . [١]

فاسبينوزا بين أن جهل الناس بالأسباب التي تدفعهم إلى أفعاهم وبالبواعث التى تدفعهم إليها هي التي تدفعهم بالاعتقاد الباطل بحرية إ رادتهم . وعلى هذا يشير اسبينوزا بقوله : " قد يتوهم الناس أنهم أحرار لأنهم يدركون رغباتهم وشهواتهم ، ولكنهم يجهلون الأسباب التي تدفعهم أن يرغبوا أو يشتهوا) [٢]

ثانيا : هوبز

هوبز[٣] من الفلاسفة الذين أنكروا حرية الإرادة ، حيث يؤمن بأن الله وحده هو صاحب القدرة المطلقة ،على جميع الأفعال بما فيها أفعال الإنسان ،

([١]) قصة الفلسفة الحديثة ، ذكي نجيب محمود،ص ١٥١ بتصرف .

([٢]) قصة الفلسفة الحديثة د. زكي نجيب ، ص ١٥٩.

([٣]) تومز هوبز ١٥٨٨-١٦٧٩- مكث في جامعة اكسفور خمس سنوات ، يتلقى المنطق والطبيعات ، وعمل خادما لبيكون ومعاونا له في نقل كتبه إلى اللاتينية ، من مؤلفاته ، مبادئ القانون الطبيعي والسياسي ، والجسم وهو يحتوي على المنطق والمبادئ الأساسية ، والفلسفة الأولى ،وكتابه الإنسان ، انظر : تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ،ص٥٠ وما بعدها ط دار المعارف بمصر، و توماس هوبز فيلسوف العقلانية ، د.إمام عبدالفتاح إمام ص ١٩ وما بعدها دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥.

فهوبز : " يعرف الإرادة بأنها أقوى رغبة ، بمعنى أنها تلك الرغبة التي تتغلب على غيرها من الرغبات ، فتؤدي إلى العمل ، وتبعا لذلك فإن هوبز يقول إن ما نسميه بالحرية الأخلاقية بمعنى تلك القدرة على الإرادة أو عدمها ليست إلا وهما كاذبا لا أساس له " [١].

وأن ما يشعر به الناس من الحرية إنما وهم لجهلهم بالعلل التي تدفعهم إلى الفعل ، ولكي يقرب اعتقاده هذا للأذهان يقول: " إن قطعة الخشب التي يتقاذفها الأطفال فترتطم مرة بهذا الحائط ومرة بحائط آخر ، وتدور مرة بسرعة ، ومرة تضرب الناس عن سيقانهم هذه القطعة من الخشب لو كان لديها شعور أو احساس بحركتها الخاصة لاعتقدت أن هذه الحركة من إرادتها هي ما لم تشعر بمن قذفها وهل يمكن أن نقول أن الإنسان أكثر حكمة عندما يجري من مكان إلى مكان من أجل منفعة ، ويزعج العالم بما يفعله ، ويعتقد أنه يفعل بلا سبب سوى إرادته هو ثم لا يرى أي رابطة يمكن أن تحدث إرادته هذه "[٢]

فهوبز يرى أن رغبة الإنسان في أن يفعل أو لا يفعل هي نفسها أسباب مادية ضرورية ، فالحرية ماهي إلا الضرورة التي تدفع إلى الفعل أو تقف

([١]) – مشكلا ت فلسفية (مشكلة الحرية ، د زكريا إبراهيم ص ٥٥ مكتبة مصر ،ودار الطباعة الحديثة ، الطبعة الثانية .

([٢]) نقلا عن : هوبز فيلسوف العقلانية ، د .إمام عبدالفتاح إمام ٤٢١,٤٢٠ .

طريقا في فعله وهو ما يعبر عنه هوبز في تعريفه للحرية حيث يعرفها بأنها "غياب العوائق والعقبات أمام فعل يريد الإنسان تحقيقه [١] .

والله هو العلة النهائية لكل شئ عند هوبز ، وهو العلة الحرة الوحيدة [٢] ، فهو الفاعل الحقيقي ؛ لأن إرادته لامتناهية ، فكل علة قريبة أو بعيدة لفعل الإنسان من الله تعالى، فالإنسان لاإرادة له ولا اختيار،كل ما يجب فهمه أن كل ما يفعله عدلا، يبدو ذلك جليا في رأيه خطيئة آدم عليه السلام، فيذهب إلى أن الله هو السبب : "أعني السبب الأول في الخطيئة، أيجعل ذلك من الله ظالما ؟ كلا لأن القوة التي لا تقاوم تبرر جميع الأفعال وتجعلها حقا وعدلا" [٣] .

ويجيب هوبز عن سؤال ؟ كيف يتسنى أن يكون هذا عدلا ؟ فيبين أن كل ما يريده الله عدلا وإن لم ندرك ذلك ؛ لأن لديه القدرة والقوة على أن يفعل ذلك ، مستدلا بما ورد في الكتاب المقدس ، يقول هوبز :" فما يفعله الله عدل سواء اتفق ما يفعل مع تصورات الناس للعدل أو لم يتفق فيما بينهم على أن يسموه بالعدل ، لكن لماذا إذن يسبب الله الخطيئة ؟ لأنه يشاء أن يفعل ذلك ،و لإن لديه القوة والقدرة أن يفعل ذلك أليس ذلك ما سبق أن وجدناه في سفر أيوب ، ألا يبرر الله ما فعله الله بأيوب من محن وابتلاء من كوارث بأن

---

(١) المرجع السابق : ،ص٤٢٠ .
(٢) انظر : رواد الفلسفة الحديثة ، ريتشلرد شاخت ص ١٠١
(٣) المرجع السابق: ، ص ٤٢٤,٤٢٥.

ينبه بقوته وقدرته ،ألم يقل له هل لك ذراع كما لله وبصوت مثل صوته ترعد ؟ أين كنت عندما أسست أرض ؟ أخبر إن عندك فهم ؟" [١]

ما علاقة قدرة و إرادة الله لكل ما يفعله الإنسان دون أدنى إرادة منه وعدله مع التكاليف والجزاء والحساب ؟

لم نجد ردا منه سوى قوله : "إن القوة الاستدلالية عند كثير من الناس ضعيفة ، ولهذا فإن النزاع والنقاش حول هذه المسائل قد يضرهم أكثر مما ينفعهم " [٢] .

الفلاسفة الذين توسطوا بين الجبر والاختيار

الفيلسوف : ديفد هيوم [٣] .

من خلال الجمع والنظر في أقوال هيوم نجد أنه حاول الجمع بين القول بحرية الإنسان في أقوله وبين أنه مجبور فيها.

ولعله يشير إلى ذلك في تعريفه للحرية فهو يعرف الحرية بأنها " قوة الفعل أو عدم الفعل وفقا لتحديدات الإرادة " [٤] .

([١])- المرجع السابق: ص ٤٢٥ .

([٢])- المرجع السابق: ،ص٤٢٣ .

([٣])- ديفد هيوم : (١٧١١ – ١٧٧٦ م) ولد اسكلندا بانجلترا ، من الفلاسفة التجريبيين ، من أهم كتبه محاولات فى الإدراك البشرى و تاريخ انجلترا ، انظر: المنجد فى اللغة والأعلام ص ٧٣٧ .

([٤])-نقلا عن : الأخلاق عند هيوم ، د . محمود سيد أحمد ، ص ٨٠ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٩٢ .

فأي تحديات الإرادة يقصد ؟

إن هيوم يصرح بأن أفعال الإنسان مطردة لأنها آلية تصدر من دون إرادته .

وفى ذلك يقول : " إن هناك مجرى عاما للطبيعة في الأفعال البشرية أو بعبارة آخرى إن الأفعال البشرية مطردة مثلها مثل الظواهر الطبيعية وعدم إمكان إثبات أن بعض الأفعال البشرية ليس مطردا ليس دليلا على عدم الحتمية ، وإنما هو دليل على معرفتنا الناقصة فقط لهذا الاطراد " [١] .

فالإنسان مجبور في أفعاله ،وهي مرتبطة بصورة مطردة بدوافع وطبائع وظروف ،وشأنها شأن الظواهر الطبيعية، وعدم اطراد هذه الأفعال يعني الاستثناء وليس القاعدة، لذلك يؤكد هيوم : " أن الحرية المزعومة للفعل الإرادى ، هى فى حقيقتها عمل طبيعى آلى تحكمه أحداث محسوسة ، تتمثل فى علاقة ضرورية قائمة بين البواعث من جهة والأفعال من جهة أخرى ، وأن معرفة هذه البواعث تمكننا من التنبؤ بشكل الأفعال والتحكم فيها ، ومن ثم لا توجد إرادة حرة ، وإنما توجد علاقات ضرورية بين البواعث والأفعال تؤدى إلى نتائج حتمية فى سلوك الإنسان " [٢] .

---

(١)- نقلا عن : الأخلاق عند هيوم ، د . محمود سيد أحمد ، ص ٧٨ .

(٢)- نقلا عن : الفلسفة ومشكلات الإنسان ، سماح رافع محمد ، محمد مصطفى البسيونى ، ص ٨٢ .

"فالضرورة تتحكم في الأفعال الإنسانية كما تتحكم في الأحداث الطبيعية بدليل أن هناك اطرادا في سلوكنا يسمح بتقرير وجود نوع من الارتباط بين بواعثنا وأفعالنا ، فأفعالنا قد تبدو وليدة نزوات عارضة وأهواء عابرة لا سبيل إلى تحديدها ، لكن ثمة ضربا من الاتحاد بين البواعث والأفعال هو الثابت بحيث قد يكون من الممكن أن نحدد نوع الضرورة التي قد تتحكم في أفعالنا"[١]

فالمفكر يستطيع أن لا يقع في وهم أننا أحرار،فيتنبأ بأفعالنا لمعرفته بأن البواعث المعينة تنتج بالضرورة أفعالا معينة،لذا فهو يقول :" على الرغم من أننا نتوهم في أنفسنا أننا أحرار فعلا فإن المتأمل في سلوكنا قد يستطيع أن يتنبأ بأفعالنا مستخلصا نوع ارجاعنا وفقا لمعرفة ببواعثنا وطباعنا " [٢]

فهيوم يؤكد آلية الإرادة الإنسانية التي يمكن التنبؤ بحدوثها من خلال معرفة البواعث والمقدمات لوجود علاقة ضرورية بين البواعث والأفعال فإن عرفت طبيعة إنسان أمكنك أن تتنبأ بتصرفه فى كل أفعاله المستقبلية .

فالفعل لا يصدر عن إرادة حرة " وإنما يصدر عن حتمية السلوك الإنساني التى تستمد مقوماتها من شخصية الفرد دون أى إلزام خارجي ، فالعقل إنما

([١]) – انظر: مشكلات فلسفية ، د زكريا إبراهيم ،ص٥٥ .

([٢])– نقلا عن : مشكلات فلسفية ، د زكريا إبراهيم ،ص٥٥.

يخضع للعواطف والانفعالات التى تؤلف من مجموعة الطبيعة الخاصة لكل شخصية فردية " [١] .

فالبواعث تأتي من داخل الإنسان ذاته من عواطفه و انفعالاته لا من عوامل خارجية عنه.

و تلك الأراء لهيوم التي يقول فيها بحتمية الأفعال الإنسانية ، إلا أنه يحاول التوفيق بين هذه الأراء والقول بحرية الإرادة الإنسانية ، فيقول :

" وفى هذا نجد أن الجسم حين يتحرك لاتباع أمر الإرادة ، نكون على وعي بهذه الحركة ، ولكننا لا ندرى الأثر الفوري أو الطاقة المباشرة التى دفعت إلى هذه الحركة " [٢]

فهيوم يرى أن الجبرية في أفعالنا من الأمور المشاهدة بل من (الأمور المسلم بها بصورة كلية عنده أن عمليات الأجسام الخارجية ضرورية وأن في إتصال حركتها وفي جذبها وفي تماسكها ليس هناك آثار للحرية) [٣].

ويستدل على قوله بأن للإنسان حرية في أفعاله من خلال بيانه

---

(١)- تاريخ الفكر الفلسفي ، الفلسفة الحديثة ، د . محمد على أبو ريان :ج ٤ ص ٢١٦ .

(٢)- نقلا عن : الحرية الإنسانية والعلم د . يمنى طريف الخولي ، ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ط دار الثقافة الجديدة .

(٣)- الأخلاق عند ديفيد هيوم ، دمحمد سيد أحمد ص٥١ .

(فهو يعرف الحرية بأنها قوة الفعل وعدم الفعل وفقا لتحديات الإرادة ويرى أن الأفعال لا تسبب المدح أو اللوم عندما تستمد فقط من قوة خارجية ، وبصورة مكافئة لا يكون هناك معنى للمدح أو اللوم والجزاء والعقاب إذا لم يكن للحرية أثر على دوافع الإنسان وسلوكه وبالتالي على أفعاله) [١] .

ومن ثم فالإنسان عند هيوم : (مجبر فى سلوكه ومختار فيه أيضا باعتبارين مختلفين وليس فى ذلك تناقض ؛ لأن للتناقض شروطا فى المنطق من هذه الشروط الاتفاق فى الجهة والجهة هنا مختلفة ؛ لأنه مجبر باعتبار ومختار باعتبار آخر أما أنه مختار أو حر فلأنه ليس هناك سلطة عليا تفرض عليه أن يفعل شيئا بمعنى أن الله لا يمارس تأثيرا على عبد من عباده بأن يفعل أو يترك ، وأما أنه (مجبر) فإنه بحكم تركيبة الإنسان النفسية وتكوينه الفسيولوجي لا يستطيع أن يفعل غير ما تحتمه عليه هذه التكوينة النفسية والفسيولوجية) [٢] .

---

(١)- انظر : الأخلاق عند هيوم ، د . محمود سيد أحمد ، ص ٨٠ .

(٢)- انظر : قضايا فلسفية، د / ميلاد زكي غالي ، د . إبراهيم مصطفى إبراهيم وآخرون، ص ٢٨٩ بتصرف .

القائلون بحرية الإرادة من الفلاسفة الغربيين

أولا : كانط [١]

الأنسان حر عند كانط :" بل جعل كانط الأخلاق نفسها تقوم على الحرية ، بل والشرط الأول اللازم توافره حتى يصبح المثل الأعلى الأخلاقي حقيقة واقعية هو الحرية عنده وحيث لا تكون حرية لا تكون أخلاق ، ولا أخلاق من غير حرية " [٢] .

جعل الإنسان حرا فى كل ما يقوم به ،دون تأثير من الخارج فله الفعل والترك، بل جعل كل فعل يقوم به لا يكون بدون الحرية [٣] .الحرية عند كانط : " بالقوة التى يصدر بها الموجود العاقل قانونه بنفسه ويفسر ذلك

([١])- عمانويل كانط : (١٧٢٤ – ١٨٠٤م) ولد في ألمانيا من الفلاسفة المثاليين،هام بدراسة المسائل الأخلاقية ومبادئ الذوق والحس الأخلاقي وفكرة الواجب وغيرها من المسائل الأخلاقية ، له مؤلفات كثيرة من أهمها : نقد العقل العملي ، و نقد الحكم : انظر: معجم الفلاسفة جورج طرابيشي ، ص ٤٧٤ وما بعدها ، وفلسفة كانط ، ترجمة د.أمين عثمان ، ص١٣ وما بعدها ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

([٢])- انظر : رواد المثالية في الفلسفة الغربية ، د. عثمان أمين ص١١٩، دار الثقافة للنشر والتوزيع .

([٣])- انظر : أمانويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة د عبدالغفار مكاوي ص١٠٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بقوله أن كل علة يصدر عنها معلول،وذلك بحسب قانون العلية، وأن لكل معلول علة وهذا هو العكس " [١] .

فإرادة الإنسان إرادة مستقلة لا تأثير للعوامل الخارجية عليها ؛ لأنها تضع قانونها بنفسها ، وتكفي نفسها بنفسها ، في التشريعات التي تسير عليها .

وكانط يفرق بين سلوك الكائنات العاقلة ، التي تصدر أفعالها من ذاتها ، دون تأثير للعلل الخارجية عليها ، دون غيرها فيقول : (أما سلوك الكائنات غير العاقلة يرجع إلى أسباب وعلل ليست صادرة من داخليتها ، وإنما ترد إليها من خارجها [٢]

فحرية الإرادة لها مكانتها : " فإن كل كائن لا يمكنه أن يفعل فعلا إلا تحت تأثير فكرة الحرية ، فهو من وجهة النظر العملية كائن حر حقا ، أى أن جميع القوانين المرتبطة بالحرية ارتباطا لا انفصام له تصدق بالنسبة إليه تماما كما لو كانت إرادته قد أقر بأنها حرة فى ذاتها ولأسباب صادقة بالنسبة إلى الفلسفة النظرية " [٣]

([١])- انظر : تاريخ الفكر الفلسفي – الفلسفة الحديثة د . محمد على أبو ريان : ٣ / ٢٩٨ ،ط دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦. ، و تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة د عبدالغفار مكاوي ، ص ١٠٣ .

([٢])- تطور الفكر الأخلاقي فى الفلسفة الغربية ، د / محمد مهران رشوان ، ص ١٧٠ بتصرف ، ط دار قباء للطباعة ١٩٩٨م .

([٣])-أسس ميتافيزيقا الأخلاق ، مانويل كانط ، ترجمة د /عبد الغفار مكاوى ، ص ١٠٧

وكانت للحرية هذه المكانة ، لأن الإنسان هو الذي يضع قوانيها بنفسه ، بعيدا عن العلل الخارجية ، ولا يمكن له أن يقوم بأي فعل إلا إذا كان حرا.

وإذا كان كانط قد ربط قدرة الإنسان على الفعل بالحرية ، فقد ربط هذه الحرية بالواجب [١] فيمارس الأنسان أفعاله بإرادته الحرة دون النظر إلى منفعة .

فالقيمة الخلقية للواجب لا تتوقف على النتائج التي تحققها أو الغايات ، إنما تتوقف على الإرادة دون أدنى اعتبار للرغبات والأهواء ، فالواجب الخلقي هو الذي يميز مملكة الإنسان باعتبارها مملكة الحرية عن مملكة الضرورة .[٢]

هذا وإن كان الواجب عند كانط عليه انتقادات كثيرة [٣] ألا يبقى إعلاء كانط للحرية الإنسانية عنوان مذهبه في أفعال الإنسان .

---

(١)- الواجب عند كانط : هو ضرورة تحقيق الفعل احتراما للقانون الأخلاقى لا فى ابتغاء مصلحة أو منفعة أو سعادة ،انظر: الأخلاق النظرية، د/ عبد الرحمن بدوى، ص ٢٦٩ ،ط وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٩م .

(٢)- انظر : فلسفة الأخلاق ،د مصطفى عبده ،ص٦٤ مكتبة مدبولي ،الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٩٩ م.لذلك جعل كانت للواجب شروطا وهي أنه صوري محض ،أنه منزه عن كل غرض أو مصلحة ،أنه قاعدة لا مشروطة للفعل،فهو قانون سابق على كل تصور تجريبي،انظر:المصدر السابق ، ٦٤,٦٥ .

(٣)- من هذه الانتقادات أنه موصوف بالتزمت والتشدد، واستبعاد العواطف والميول ، وتحريم الاستثناء من القاعدة الخلقية ، انظر فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها ، د. توفيق الطويل ص ٤٤٣:٤٤٥ ، الطبعة الرابعة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع .

ثانيا: هيجل [١]

هيجل من أبرز الفلاسفة الغربيين القائلين بالحرية ، بل ربطها بجوهر الإنسان فهو يقول :

" والإنسان بوصفه روحا فهو جوهر حر وهو فى وضع يجعله لا يسمح لذاته بأن تحددها دوافع طبيعية " [٢].

فأفعال الإنسان عند هيجل لا ترتبط بشئ خارجي ، وإلا لم تكن حرية ، إنما ترتبط بالوعي الذاتي أو اللامتناهي .

(فهو يربط الحرية بالوعي الذاتي ، بهذا الوعي يشكل ماهية الحرية، التي تعني ألا يحدث قيد ولا يربطك شئ خارجي ، فالذات لا ترتبط إلا بنفسها وتلك هي الحرية الحقيقية ،وهي اللامتناهي الحقيقي) [٣]

---

(١)–فريدريك هيجل : (١٧٧٠ – ١٨٣١م) ، من الفلاسفة المثاليين ، اهتم بدراسة الفلسفة ، وكتب عدة مقالات نقدية منها حول جوهر الفلسفة النقدية والإيمان والمعرفة وغيرها و إلى أن صار استاذا لكرسي الفلسفة في جامغة هايدلبرج ١٨١٦ م من أهم مؤلفاته موجز موسوعة العلوم الفلسفية ، وعلم المنطق، وفلسفة الحق ، انظر : الموسوعة الفلسفية د. عبد المنعم الحفني ص ٥١١ و ما بغدها وفلسفة هيجل ، لعبدالفتاح يدوي ص١٣ وما بعدها ،مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠ م .

(٢)– نقلا عن : هيجل محاضرات في فلسفة التاريخ ج١ ص٥٤ ترجمة د : إمام عبدالفتاح إمام ، دار الثقافة للنشر والتوزيع .

(٣) انظر : دراسات هيجلية ،د إمام عبدالفتاح ،ص ٤٣,٣٧ دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٤.

فتصور هيجل للحرية إذن يقوم على أن الحرية تعين ذاتى وتحكيم حر وحرية مطلقة فى الاختيار وفى غياب تام لأية ضغوط خارجية ؛ لذلك فهو يحاول إثبات أن الحرية حين تتحقق فى الذاتية إنما تزداد عينية ووجودا وذلك ؛ لأن الإنسان يعرف ذاته حرة وكلما زاد وعيه ومعرفته زادت حريته .

فالحرية عند كانط معناها : حرية الاختيار بعيدا عن الجبر الذي يأتي من خارج الذات أو الروح كما يسميها هيجل ، وبذلك يكون الإنسان حرا كلما ازدادت معرفته بهذه الحقيقة وزاد وعيه ، وأدى ما عليه من التزام أو الواجب الذي عليه، الذي يؤديه من منطلق حريته.

يقول هيجل: "ينبغى على أن أؤدى واجبي من أجل الواجب وحين أؤدى واجبي فهو بالمعنى الدقيق للكلمة موضوعيتي الخاصة التى اجعلها تتحقق بالفعل " [١]

ومن ثم فهيجل قد أشاد بالحرية إلى أسمى المقامات وأعلاها مثبتا إياها لكل إنسان وليس هذا فحسب بل قد جعلها روح الإنسان وكيانه [٢] ، وإن كان قد بالغ في ذلك وجعلها حرية مطلقة لا تخضع لأي قوة خارجية .[٣]

---

(١) نقلا عن : أصول فلسفة الحق هيجل ، ترجمة د . إمام عبد الفتاح ج ١ ص ٣٧٢.

(٢) انظر : تاريخ الفلسفة ، يوسف كرم ص٢٩٤ .

(٣) رد المثاليين وغيرهم الأخلاق إلى العقل أو الحدس دون الوجدان ، فأصبحت صفات عينية قائمة قائمة في طبائع الأفعال الإنسانية ، مستقلة عن رغبات الإنسان ==

ثالثا: ديكارت [١]

الحرية عند ديكارت :" هى تلك القدرة الحقيقية والإيجابية فى أن يقرر الإنسان شيئا "[٢] .

فديكارت يؤكد على حرية الاختيار من حيث هي قدرة حقيقة و إيجابية على العزم " لذلك كان الإنسان عنده هو الكائن الوحيد الذى يتمتع بقدرة حقيقية فى فعل الأشياء بمحض قدرته ، واختياره بخلاف غيره من المخلوقات الأخرى فالإرادة الحرة إنما تقوم على استطاعتنا أن نفعل الشئ أو لا نفعله ، وأن نثبته أو أن ننفيه ، وأن نقدم عليه أو أن نحجم عنه ، وبعبارة أدق ، لكى نثبت أو ننفى الأشياء التى يعرضها الذهن علينا ، ولكي نقدم عليها أو نحجم عنها ، إنما نتصرف بمحض إرادتنا واختيارنا دون أن نحس ضغطا من الخارج يملى علينا ذلك التصرف " [٣] .

==وميولة ، انظر : فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها ، د. توفيق الطويل :٤٩٣ ، الطبعة الرابعة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع .

([١]) رينيه ديكارت : ولد فى فرنسا ١٥٩٦ ، فيلسوف عقلي له عدة مؤلفات منها : التأملات فى الفلسفة الأولى ، مبادئ الفلسفة ، مقال عن المنهج ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة د/ عبد المنعم الحفنى : ١/ ٥٩٧ .

([٢])- نقلا عن : دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، د / يحيى هويدي ، ص ٥٥ ، ط دار النهضة العربية (بدون) .

([٣])- انظر : ديكارت والعقلانية – جنفيان رويس ، ترجمة ، عبده الحلو ص ٧٥ ==

فلقد شغلت مشكلة حرية الإرادة [١] الإنسانية اهتمام ديكارت .

ويؤيد هذا قوله : " إن أعلى مراتب الكمال عند الإنسان هو أنه حر الاختيار ، وهو الأمر الذى يجعله خليقا بالمدح والذم ، أما الإرادة فلما كانت بطبيعتها رحيبة جدا ، فإنها لمزية عظمى أن تكون لنا القدرة على العمل بواسطتها ، أي أن نتصرف بحرية ؛ بحيث نكون مستقلين بأفعالنا استقلالا يجعلنا جديرين بالثناء إذا أحسنا التصرف "[٢]

== ، منشورات عوذدات –بيروت – باريس الطبعة الرابعة ١٩٨٨، و التأملات فى الفلسفة الأولى ديكارت ، ترجمة د . عثمان أمين ، ص ١٨٧ بتصرف ، ط مكتبة الانجلو المصرية ، ط الرابعة ١٩٦٨م ، ومذاهب الحرية في الفلسفة الوجودية ، د. سعد عبدالعزيز حباتر ص٢٥,٢٤ مكتبة الأنجلو المصرية .

(١)– ولذا يقول : " إن حرية إرادتنا لا تعرف بالدليل ، وإنما تعرف بتجربتنا لها : " فالحرية الإنسانية لا تحتاج إلى دليل من الخارج يدل عليها ، بل هى تعرف بتجربتنا لها ، كذلك يلاحظ أن من خصائص هذه الحرية الإنسانية عند ديكارت أنها تقوم على إرادة لا يقف فى سبيلها عوائق ، ويوضح ذلك بقوله : " ولا يصح كذلك أن أشكو من أن الله لم يهبنى حرية اختيار ، أو إرادة ذات حظ كاف من الرحابة والكمال ، فالواقع أن تجارب وجدانى تشهد بأن لى إرادة صافية مترمية لا تحصرها حدود ، ولا تحبسها قيود انظر: " التأملات فى الفلسفة الأولى ديكارت ، ترجمة د / عثمان أمين ، ص ١٨٦.

(٢)– نقلا عن : ديكارت ، د. نجيب بلدي ، دار المعارف ، بمصر ،الطبعة الثانية و المذاهب الفلسفية العظمى فى العصور الحديثة ، د .محمد غلاب ، ص ١٠٠ ، ط دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م .

بالإرادة الحرة تمدح الأفعال إذا كانت حسنة ، وتذم إذا كانت سيئة يقول ديكارت : " إن الكرم الحقيقى الذى يؤدى إلى احترام الإنسان لنفسه بالقدر المستطاع يشتمل من ناحية أن ندرك بأنه لا سبيل إلى الاعتماد على أى شئ من الحياة سوى استعراض الإرادة الحرة ، ومن ناحية أخرى لا يوجد سبب آخر يمدح الإنسان من أجله ، ويذم سوى استعمال هذه الإرادة بطريقة حسنة أو سيئة " [١] .

حرية الاختيار ، ليست هى لحظة الاختيار ، بل اللحظة السابقة على الاختيار ؛ لأنها هى التى على أساسها يتم الاختيار ، الحق أن إدراكنا للخير ولكل دوافعه فى اللحظة السابقة على الاختيار قد يكون كاملا وواضحا ومتميزا ، ولكن قد يحدث أيضا أننى قد أحيد عن جانب الخير ، أو عن هذا الجانب الذى اتضح عندى وضوحا كافيا ، واختار بمحض اختياري الجانب الآخر، أو على الأقل أسقط الجانب الواضح الخير من حسبانى، ولا ألتفت إليه ، ولا أعيره انتباها كافيا ، وأحجم عن الأخذ به ، والسبب فى تغليبى الجانب المظلم عن الجانب المضيئ هو أن لى إرادة تتفوق على عقلى ، وتتخطاه وهذه بعينها هى الحرية الإنسانية الحقيقية عند ديكارت [٢] .

([١])-الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي ، د / أبو بكر إبراهيم التلوع ، ص ١٧٤ ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازى .

([٢])-دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، د / يحيى هويدي ، ص ٥٥ بتصرف .

تتجلى أهمية حرية الإرادة أيضا عند ديكارت فى أن الطريقة التى بها يستطيع الإنسان السيطرة على انفعالاته تتم عن طريق إرادة الكائن العاقل ، وهى إرادة حرة لا سبيل إلى قهرها ، فالإنسان قادر بإرادته ، وبالمران الذى يمارس به هذه الإرادة يناضل شهواته وانفعالاته مباشرة ، وهو فى هذا بحاجة إلى ضرب من السياسة واللياقة ، من أجل أن يتم له السيطرة على طبيعته ، وهذه السيطرة مناطها الإرادة الإنسانية المسترشدة بنور العقل [١] .

إن ديكارت يبين أن هذه الإرادة والقوة على الفعل، إنما هي من الله فيقول:" و إنما مرجع خطئي هذا إلى أن ما منحني الله من قوة على تمييز الصواب من الخطأ هو عندي قوة متناهية محدودة " [٢]

كل ما في الأمر أن ديكارت نبه على عدم استخدام هذه الحرية في الخطأ، وبين السبيل إلى ذلك

(بأن أستعمل ما منحنى الله من حرية الإرادة استعمالا حسنا ، أى ألا أتعجل فى حكمى على الأمور التى لا أتصورها إلا فى غموض وإبهام ، وأن أمسك عن إبداء رأيي فى الأشياء التى لم تتبين لى حقيقتها) [٣]

---

(١)- انظر : دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، د / يحيى هويدى ، ص٥٧ وما بعدها .

(٢) نقلا عن : التأملات لأمين عثمان ،١٢٩ .

(٣) انظر : رواد المثالية فى الفلسفة الغربية ، د . عثمان أمين ، ص ٢٤ ، ٢٥ : الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، د إبراهيم مصطفى إبراهيم ، ص ٩٤ .

وإذا كانت إرادة الله الذي منحنتي هذه الإرادة ، فهل إرادتي إرادة تأثير على الفعل ؟ يرى ديكارت أن إرادتنا إرادة كشف واهتداء و إرادة الله إرادة خلق وشرع لما يكون الاهتداء إليه الذي هو عمل إرادتنا .

وإذا كانت إرادتنا إرادة كشف ، وإرادة الله خلق للأ فعال ؟ فمن المسؤول عن الأعمال ؟ .

إن ديكارت يرى أنه لا يجب أن ننسب أخطاءنا إلى الله ؛ وذلك لأن في ترديننا فيها إنما يرجع في سلوكنا لا في طبيعتنا التي خلقها الله .[1]

وديكارت وإن كان يؤمن بسبق التقدير الإلهي لكل أفعال الإنسان(إلا أنه يحاول تفسير هذه المسألةبمحاولة إلقاء التبعية على إرادة الإنسان التي تسيء استعمال الحرية فالخطأ الناتج من سوء استعمال الحرية هو علة الخطأ) [2] .

فالله قدر أفعال الإنسان ، وخلق أفعاله والإنسان بسلوكه يفعل الأفعال السيئة ، أو بسوء استعماله الحرية ، بمعنى أن تأثير الأنسان في فعله من خلال سلوكه، كيف يكون ذلك ؟ لم نجد توضيحا لذلك من ديكارت .

([1]) انظر : ديكارت أو الفلسفة العقلية ،د .راوية عبدالمنعم عباس ص٤٨٩ دار المعرفة الجامعية –الإسكندرية.

([2]) انظر: ديكارت أو الفلسفة العقلية ،د .راوية عبدالمنعم عباس ص٤٨٩ دار المعرفة الجامعية –الإسكندرية .

رابعا: مالبرانش [1]

من المذاهب القريبة من الفكر الأسلامي الأشعري في الأرادة الإنسانية مذهب الفيلسوف مالبرانش ، حيث يرى :

أولا : (أن الله تعالى هو العلة الفاعلة الوحيدة لكل شئ بما في ذلك أفعال الإنسان جمعا وما ينجم عن القوى الطيعية من آثار فإن إرادة الله تعالى أرادت منذ الأزل وستظل تريد إلى الأبد ما يحدث) [2] .

ثانيا :(أن الله الذي خلق الإرادة في الإنسان ،وبث الحرية فينا حيث يعتمد الفعل الإرادي لنا على هذه الحرية، غير أن تحقق هذا الفعل يتم بمساعدتنا حين يستخدم هذه الحرية في آداء الأفعال ،والأفضل أن نستخدم ما وهبنا الله في طاعته وعدم معصيته) [3] .

---

(1) انظر : تقولا مالبرانش ١٦٣٨-١٧١٥- اتخذ من القديس أوغسطين استاذه الأكبر ، قرأ كتاب الإنسان ، لديكارت وأعجب به ، وشرع في إنشاء فلسفة مسيحية ، وظل في ديره بباريس يؤلف ويجادل ، من أهم كتبه ، البحث عن الحقيقة ، وكتاب محبة الله ، انظر : تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ،ص٩٤ وما بعدها ط دار المعارف بمصر، والموسوعة الفلسفية ، د. عبدالرحمن بدوي ج ٢ ص٤٢٩ ط ، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأ ولى ١٩٨٤م.

(2) انظر : مالبر انش د. عبدالرحمن بدوي ، ص ٤٣٢.

(3) انظر : الفلسفة الحديثة د محممود توفيق،ص ٦٤.

ثالثا : ونظر ا لهذه الحرية التي أعطا نا الله ، كانت خطيئة آدم(لا تعود إلى أن الله أراد الخطيئة للإنسان ولكن لكون الإنسان مركب من عنصرين أحدهما يتسامى به وهو النفس والآخر يهبط به إلى مدارج المعصية وهو البدن) [١]

"فالنفس عنده متحدة مباشرة بالله الحاصل على القدرة التي تمنحنا ،وعلى النور الذي ينير عقولنا ،وعلى العقل الذي يدبر إرادتنا ،فقد الله بين مخلوقاته بعضها لبعض بموجب قوانين كلية ثابتة دون أن يمنحها فاعلية ما، فوهمنا أننا نحكم بالعلية حيث لا يوجد سوى اقتران مطرد ، وأننا لا ندرك بالحس أي شئ آخر يمكن أن يكون العلة" [٢]

فخطيئة آدم عليه السلام لا تعود إلى الله ، ولكن تعود إلى آدم عليه السلام ، ولكن تلك القدرة على هذه الإرادة من الله تعالى ، فهل يقع في هذا الكون ما لا يريده الله ؟ وكيف يتفق هذا الكلام مع كلامه السابق

إن إرادة الله تعالى أرادت منذ الأزل وستظل تريد إلى الأبد ما يحدث .

---

(١) – انظر : الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم،د إبراهيم مصطفى إبراهيم،ص١٧٩ .

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم، ص٩٦,٩٧ بتصرف ،دار المعارف المصرية.

فالفلسفة الغربية الحديثة في الإرادة الإنسانية ، ترى بأنها حرة تارة ومجبرة تارة آخرى ، مع نظرة قد لا تبدوا واضحة من الوهلة الأولى ترى الإنسان ،حرا في أفعاله تارة ومجبرا آخرى ، إلا أننا نلاحظ الآتي :

أولا : أن بعض هذه المذاهب تنظر للإنسان كجزء من الطبيعة ، يعمل بآلية ، فهو كالآلة الصماء ، أو كالحيوان تحركه العواطف ، والدافع لسلوكه اللذة والألم ، وعلى الرغم من ذلك اعتمدوا مذاهبهم التجريبية ،إلا أنهم غفلوا على أن الإنسان قد يفعل ما يؤلمه ويتقي ما قد يجلب له اللذة .

ثانيا: فريق من الفلسفة الغربيين المحدثين ، يذهبون إلى حرية الإنسان ، و أن إرادته تنبع من ذاته ، وأعلى هذا الفريق من حرية الإرادة ، حيث جعلها جوهر الأخلاق ، بل سر وجود الإنسان وكيانه ، إلا أنه جعل الإنسان يندفع إلى الأعمال لا بشيء سوى الواجب الخلقي ، أو احتراما للقانون ، دون أي إرادة دافعة لذلك ، حتى ولو كان ذلك يرجع إلى الذات ، أو إلى الله جلا جلاله ، فلا علاقة للاخلاق بالدين عندهم ، إلا عند عدد من الفلاسفة الذين ربطوا الحرية بالدين ، لكن بصورة يمكن وصفها بالسطحية والساذجة .

خاتمـــــة

أهم نتائج البحث

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى ، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد السراج المنير والبشير النذير اللهم صل عليه وعلى آله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

١. إن مشكلة الحرية الإنسانية كانت ولا تزال من أهم المشكلات في الفكر الإنساني ؛ نظرا لأهمية هذه القضية ،لارتباطها بالإنسان ومسؤلياته تجاه الله جلا علاه والمجتمع ، وفي نهاية هذه الدراسة عن الحرية الإنسانية في الفكر الإسلامي والغربي الحديث ،اذكر أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث والتي تتمثل فيما يلي :

٢. إن الفكر الإسلامي سبق الفكر الغربي الحديث في بحث مشكلة الحرية تحت موضوع الجبر والاختيار، بل إن تناول الفكر الإسلامي لهذة القضية أعمق .

٣. إن مرجع هذ العمق ، إلى ارتباط هذه القضية عند مفكري الإسلام و الفرق الإسلامية بالعقيدة وماورد فيها من نصوص ، ومحاولة فهمها عند جل الفرق في ظل ثوابت العقيدة ومبادئ الإسلام .

٤. –إن جل الفرق الإسلامية والمفكرين المسلمين من فلاسفة وغيرهم يقولون بحرية الإنسان في تصرفاته مع اختلاف بينهم في كونها مطلقة أو واقعة تحت إرادة الله سبحانه وتعالى .

٥. فالمعتزلة ذهبوا إلى أن العبد فاعل لأفعاله الاختيارية ، وأنها غير مخلوقة لله تعالى ، فالعبد حر في أفعاله ، وإلا لما كان هناك مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب ....

٦. والجبرية نفوا الفعل عن العبد حقيقة وأضافوه إلى الله ، فالإنسان ليس حرا في أفعاله بل هو مجبر في جميعها .

٧. أما الأشاعرة فلم يقولوا بمذهب الجبر ، ولا الاختيار المطلق ، بل قالوا بالكسب ، فالله خالق لجميع الأفعال ، إلا أن سنته بأن يخلق عقب القدرة الحادثة أو معها الفعل الحاصل إذا اراده العبد فيكون ذلك خلقا لله وكسبا للعبد ، فالإنسان له حرية في أفعاله من خلال كسبه لها .

٨. إن بعض المفكرين الأوربيين في العصر الحديث ، يتفقون مع الفكر الإسلامي في أنه لولا الفعل الحر للإنسان لما استحق المدح والذم ، فهو أساس الأخلاق ، في الفكر الإسلامي ، وكذلك عند بعض فلاسفة الفكر الأوربي الحديث .

٩. كذلك يتفق بعض المفكرين الأوربيين في العصر الحديث مع المعتزلة في القول بالحرية المطلقة .

١٠. الربط بين الفكر الأوربي الحديث وبين العقيدة نادرا وبصورة سطحية.

١١. أن مذهب الجبر في الفعل الإنساني في الفكر الأوربي الحديث حاضرا مع القول بالحرية .

١٢. وفي مذهب القائلين بالجبرية في الفكر الغربي الحديث الأنسان كالأله أو كجزء من الطبيعة يسري عليه ما يسري عليها كمجرد ظاهرة تسير وفق قوانين الطبيعية .

١٣. كذلك نرى في الفكر الإسلامي الجبرية يرون أن الإنسان كريشة معلقة في الهواء تحركها الرياح كيف تشاء.

وأخيرا : فالحق في هذه المسألة أن العباد لهم حرية في أفعالهم وإرادة وأن الله هو الخالق لإرادتهم وقدرتهم .

أهم المراجع

- أبكار الأفكار في أصول الدين ، لسيف الدين الآمدي ، تحقيق .د. أحمد محرم المهدي ، مطبعة دار الكتب القومية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م.
- الأخلاق النظرية، د/ عبد الرحمن بدوى، ،ط وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٩م
- الأخلاق عند ديفيد هيوم ،دمحمد سيد أحمد ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٩٢ .
- الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي ، د / أبو بكر إبراهيم التلوع ، ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي .
- التأملات فى الفلسفة الأولى ديكارت ، ترجمة د / عثمان أمين ، ، ط مكتبة الانجلو المصرية ، ط الرابعة ١٩٦٨م .
- الأعلام للزركلي ، ط. دار العلم للملايين ، ط ، بيروت، ١٩٨٤م .
- الاقتصاد في الاعتقاد ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، تحقيق ، عبد الله محمد الخليلي ، الناشر ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م
- الحرية الإنسانية والعلم د / يمنى طريف الخولي ، ، ط دار الثقافة الجديدة
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري تحقيق ، د محمد إبراهيم نصر ، د. عبدالرحمن

عميرة ، دار الجيل –بيروت –لبنان .

- الفرق بين الفرق لأبي منصور عبدالقادر بن طاهر البغدادي ، تحقيق، محمد عثمان الخشب ، ط ،مكتبة بن سينا .
- الفكر الأوربي الحديث الاتصال والتغير في الأفكار –القرن السابع عشر لفرانكلين –ل– باومر ترجمة د.أحمد حمدي محمود ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧.
- الفرق الكلامية الإسلامية ، د. على عبد الفتاح المغربي ، ط. مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.
- الفلسفة الحديثة د محممود توفيق فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها ، د. توفيق الطويل ، الطبعة الرابعة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع .
- اللمع في الرد على أهل البدع والزيغ ، لأبي الحسن الأشعرى ، ط. مطبعة مصر ١٩٥٥ ، تحقيق ، حمودة غرابة
- المعتزلة – مشكلة الحرية الإنسانية د–محمد عمارة ، دار الشروق – الطبعة الثانية ١٤٨–١٩٨٨م .
- المعجم الفلسفي د جميل صليبا ، دار الكتاب البناني –بيروت – لبنان.
- الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع .
- الملل والنحل للشهرستاني ، المطبعة الأدبية– مصر الطبعة الأولى ١٣١٧هـ .
- المذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة ، د / محمد غلاب ، ط

دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م الموسوعة الفلسفية ، د. عبدالرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م.

- المطالب العالية ، لفخر الدين الرازي ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا ، الناشر دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر الطيب الباقلاني : تحقيق : محمد زاهد أبي الحسن الكوثري ،ط المكتبة الأزهرية للتراث ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٠ م .
- تاريخ الأخلاق ، د / محمد يوسف موسى ، ، ط مطابع دار الكتاب العربى بمصر ، ط الثالثة ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م .
- تاريخ الفكر الفلسفي – الفلسفة الحديثة د / محمد على أبو ريان ، ،ط دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦.
- توماس هوبز فيلسوف العقلانية ، د.إمام عبدالفتاح إمام ، دار الثقافة للنشر والتوزيع١٩٨٥.
- تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، لامانويل كانت ترجمة، د. عبدالغفار مكاوي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ، د / محمد مهران رشوان ، ط دار قباء للطباعة ١٩٩٨م .
- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل ، للقاضي أبي بكر محمد الطيب

الباقلانى ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ،ط .مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م .

- شرح المقاصد ، لمسعود بن عمر بن عبدالله الشهير بسعد الدين التفتازاني ، تحقيق : دعبدالرحمن عميرة ،ط ،عالم الكتب ،بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م .
- ديكارت ،د نجيب بلدي ، دار المعارف ، بمصر ،الطبعة الثانية
- ديكارت والعقلانية –جنفيان رويس ،ترجمة ،عبده الحلو ، منشورات عوذدات –بيروت –باريس الطبعة الرابعة ١٩٨٨.
- ديكارت أو الفلسفة العقلية ،د .راوية عبدالمنعم عباس ، دار المعرفة الجامعية –الإسكندرية .
- دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، د / يحيى هويدى ، ط دار النهضة العربية .
- رواد المثالية في الفلسفة الغربية د عثمان أمين ، دار الثقافة للنشر والتوزيع قصة الفلسفة الحديثة ، ذكي نجيب محمود، ،ط لجنة التأليف والترجمة والنشر –القاهرة ١٣٥٥هـ-١٩٣٦.
- رواد الفلسفة الحديثة ، ريتشارد شاخت ، ترجمة د. أحمد حمدي محمود ط .الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والفلسفة الحديثة ، عرض ونقد، د.أحمد السيد علي رمضان ، ط مكتبة الإيمان .
- شذرات الذهب ، لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى، دار المسيرة، ط ٢، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩ م.

- شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبدالجبار بن أحمد ، وما بعدها ، تحقيق د. عبدالكريم عثمان ، ط ، مكتبة وهبة .
- شذرات الذهب ، لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى، دار المسيرة، ط ٢، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- غاية المرام في علم الكلام ، لأبي الحسن محمد بن سالم التغلبي المعروف بسيف الدين الآمدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، تحقيق، أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤هـ
- فلسفة كانط ، ترجمة د.أمين عثمان ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٦٤ .
- فلسفة الأخلاق ،د مصطفى عبده ،، مكتبة مدبولي ،الطبعة الثانية ، القاهرة
- فرق المسلمين، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازى، الناشر دار الكتب العلمية ،
- فلسفة هيجل ، لعبدالفتاح يدي ،مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٧٠ م .
- بيروت ١٤٠٢ هـ .
- قضايا فلسفية، د / ميلاد زكى غالى ، د . إبراهيم مصطفى إبراهيم وآخرون
- هيجل محاضرات في فلسفة التاريخ ، ترجمة دإمام عبدالفتاح إمام، دار الثقافة للنشر والتوزيع .
- محصل أفكار المتقدمين والمنأخرين من العلماء والحكماء و

المتكلمين، لفخر الدين الرازي ، تحقيق ، طه عبدالرؤف سعد ، الناشر ، مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة .

- مذاهب الحرية في الفلسفة الوجودية ، د. سعد عبدالعزيز حباتر، مكتبة الأنجلو المصرية
- موسوعة الصوفية ، د. عبد المنعم الحفنى ، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م دار الرشاد .
- معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي ، ،دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦ م .
- مشكلات فلسفية ، د. زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ودار الطباعة الحديثة .
- مشكلا ت فلسفية (مشكلة الحرية ، د زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ،ودار الطباعة الحديثة ، الطبعة الثانية .
- مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ، تحقيق د.محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو .
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د.علي سامي النشار ، ط. دار المعارف القاهرة ، الطبعة التاسعة.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس لدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق ، إحسان عباس ،الناشر ، دار صادر – بيروت.